بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تتفرّع من العلوم العصرية مباحث مستقلة، يطلق عليها بعضهم اسم «**العلوم**» لاستقلالها بموضوعاتها الخاصة، ولكنها أحرى أن تسمى **بالمباحث** ـ كما يقول أستاذنا العقاد ـ رحمه الله، أو تسمى الدراسات العلمية، لأنها أقرب إلى التطبيقات التى تبنى على العلوم المتفرقة منها إلى العلم المنفرد بقواعده وتجاربه وأصوله[1].

وعلى سبيل المثال يذكر العقاد فى هذه الدراسات ما يسمونه بعلم **السياسة الجغرافية**، وهو غير الجغرافية السياسية وقد شاع شيوعا كبيرا بعد الحرب العالمية الأولى، لأن هذه الحرب قد أظهرت بالأمثلة الجلية فعل الموقع الجغرافى فى توجيه السياسة الدولية وتوحيد خططها ؛وإن تبدلت حكوماتها بين امبراطورية وجمهورية أو بين حكومة مطلقة وحكومة دستورية[2].

ولا يلتبس موضوع **الجغرافية السياسية**، وموضوع الجغرافيا الصحفية فى سياق كتابنا هذا، فإن الجغرافيا السياسية مبحث قديم يُعلّم الناس موضوعه المفّل منذ زمن بعيد، أما **الجغرافيا الصحفية**، فالذين يدرسونها يهتمون قبل كل شىء بموقع البلد وصحافته، وأحوال الدولة، ونظم الحكم، وعلاقات التأثير والتأثُّر بالصحافة فى البلدان الأخرى.

وتأسيسا على هذ الفهم، فإننا نطرح فى هذا الكتاب مبحثا طريفا نسميه **بالجغرافيا الصحفية أو بجغرافية الإعلام** Geography of media، ويدلُّ هذا الاسم المقترح على موضوعه، بغير حاجة إلى التفصيل فى شرحه. فإن هذا

(١) فن المقال الصحفى فى أدب عباس محمود العقاد: القاهرة؛ هيئة الكتابص١٧٥

(٢) نفسه ص ١٧٥ ـ مجلة الأزهر/ سبتمبر ١٩٥٩

الاسم يوحى بالعلاقة بين وسائل الإعلام ومواقع البلدان، ويدل على اعتقاد الباحثين فى هذ الموضوع أن للموقع شأنا فى انتشار وسيلة من وسائل الإعلام، وإن للموقع شأنا فى تقديم بعض هذه الوسائل على بعضها البعض وتغليب الإقناع أحيانا على الإكراه.

ويرتبط بهذا البحث النظر إلى **مدرسة المناطق أو الأقاليم** فى الأدب وتطورس فنون القول، من حيث انقسام هذه الفنون فى تاريخ الأماكن والأزمنة على أساس: **العودة إلى الأرض**، تمييزا لها من ضروب الكتابة التى تصطبغ بالصبغة الصناعية، وتمييزا لها فى الوقت نفسه من **أدب الطبيعيين** الذين يتحللون من قواعد الفن ومن الغايات المثالية[1].

ويرى العقاد أن **مدرسة الإقليمية** بهذا المعنى فيها جانب معقول «يقوم على رغبة حسنة فى التخلص من عيوب الصناعة وعيوب الحيوانية، ولكنه منتقد فى الوسيلة، وإن لم يكن منتقدا فى الرغبة والغاية، لأن الصناعة مكسب للإنسانية لا يجوز إهماله. وجذور «**الوحدة**» فى **الصحافة العربية**، ترتبط بالبيئة المعنوية، التى نجدها أوضح ما تكون فى «**عقيدة التوحيد**» التى تلفّ هذه الأقاليم، وفى الثقافة المشتركة، وفى الحياة الاجتماعية المتقاربة، فإذا لمح الدارسون «فى هذه الوحدة عناصر افتراق بين الأقاليم فإن هذه العناصر لاتستطيع أن تتحكم فيها وأن تسودها، وهى ليست من العمق ومن الأصالة حتى تغيب وراءها عناصرالوحدة. .»[2].

وأول عناصر الوحدة فى الصحافة العربية: العروبة، التى انطبع بها الفن الصحفى، ووسمت «الشخصية القومية» بسماتها الخَلْقية والخُلُقية، فأظهر الفن الصحفى العربى من سماتها تلك: سمة الانفعال والسرعة، علي نحو ما نجد عند الشاعر القديم:

---

(١) العقاد/ السابق ص ١٥

(٢) شكرى فيصل المرجع السابق، ص١٩٧.

قوم إذا الشرُّ أبدى ناجذيه لهم | طاروا إليه زُرافات ووحدانا
لا يسألون أخاهم حين يندبهم | فى النائبات على ما قال برهانا

وإيثار العرب لبلادهم أبلغ وأصدق، فليس «بغريب على من أنبته الله على أرض اجتمع له على سطحها ماء جارٍ وظلٌ وارف، ألا يؤثر عليها، وإنما الغريب على من ينبته الله على أرض ترابها رمال، وماؤها سراب، وطيرها جراد، ثم لا يؤثر عليها ويؤثرها على جنات وعيون.

وهكذا خلق الله العرب أقنع بأوطانهم منهم بأرزاقهم، وعن ابن عباس أنه قال لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى عبدٌ الرزق(١).

اتسمت «الوحدة» فى الأدب العربى، بسمة أخرى على صعيد ما يسميه «إليوت»: «الفرقة والنحلة»(٢) فوجدنا أن العرب المسيحيين قد تفانوا فى الدعوة إلى «الوحدة العربية» وأشادوا بدور العرب والإسلام فى الحضارة، ومن ذلك أن «إيليا أبو ماضى» أشاد بالعروبة التى تُظلّ برايتها المسلمين والمسيحيين جميعا وتؤلف بينهم فى إخاء تام ومحبة وعمل مشترك فى سبيل مجدها. فنراه يخاطب إخوانه فى قصيدة يدعوهم إلى نبذ الخلاف الدينى وإلى التآلف فى الحياة فالأصل واحد وهو العروبة والانتماء إلى شجرتها العتيدة:

أتباع أحمد والمسيح هوادة | ما العهد أن يتنكر الإخوان
الله رب الشرعتين وربكم | فإلى متى فى الدين تختصمان
مهما يكن من فارق فكلاكما | ينمى إلى قحطان أو غسان

وهكذا لم تقف الطائفية حاجزا فى سبيل «الوحدة» فى الأدب العربى، بل سرعان ما أدرك مفكرو الإسلام والمسيحيين خطورة النعرة الطائفية على الدعوة

---

(١) ابراهيم الابيارى، المرجع السابق ص٤٢.
(٢) ت. س. إليوت المرجع السابق، ص٨١.

القوميـة فأصبحنا نجـد الدعوة عامة إلى اعـتبار التاريخ الـعربى تاريخا مـشتركة للأمة العربية، واعتبر الرسول محمد بن عبدالله صلوات الله عليه نبى الإسلام زعيما لـلعرب، وصار المسيـحيون متحمـسين للعروبة تحـمس المسلمين أنـفسهم وأشدّ، وظهـر من بينـهم شعراء كبـار وكتاب أعلام وعـلماء أفذاذ دافـعوا عن العـروبة عنـصرا ولغـة وقوميـة، وظهـرت فى الصـحف العـربية أسـماء **إيليا أبوماضى، ونجيـب الحداد، والأب انستاس الكرملـى، وجورجى زيدان، والأب لويس شيخو**، ونظراؤهم[1] فى الصحـافة المصرية والشـامية والبلاد العـربية. ولازلنا نذكر قول أمير الشعراء أحمد شوقى:

الـدّيـن لـلـديّـان جـلّ جـلالُـه لـو شـاء ربُّـك وحـد الأقـوامـا

يقول **شوقى** (المصرى) فى الثورة السورية:

سـلامٌ مـن صـبـا بـردى أرقُّ ودمـعٌ لا يُـكـفـكـف يـا دمـشـقُ
ومـعـذرة الـبـراعـة والـقـوافـى جـلال الـرُّزء عـن وصـف يـدقُّ

وفيها يقول بيته الشهير:

ولـلـحـريـة الحـمـراء بـاب بـكـل يـدٍ مُـضـرَّجـة يُـدقُّ

وكان لمأساة **فلسطين** أثرها الـكبير فى النـزوع نحو «**الوحدة**» فى الصحافة العربية فشارك الصحفيون من جميع **الأقـاليم** العربية فى إثراء صحافة المقاومة، فى فلـسطين والجزائر، والحـركات التحررية، عـلى النحو الـذى جعل «**الوطن**» كمصطلح لا يـرتبط بمفهوم «**التنوع**»، وإنما أصبح يرتبط بمـفهوم «الوحدة» فلم يصبح «**الوطن**» مصـرا أو عراقا أو شـآما، وإنما أصـبح «**الوطن الـعربى**» شارة على الصحافة العربية مضمونا وشكلا.

وهن ذلك ما قاله الشاعر **السعودى** محمد حسن عواد فى معركة القناة:

---

(١) د. محمد زغلول سلام المرجع السابق، ص١٧.

والوعى عند بنى العرو بة شارة الرجل اللبيب
هو فيهمو روح الجما عة ظل ينضح بالطيوب
من عهد إسماعيل أو من عهد يعرب فى الحقوب
همت به الأحساب قبل الجاهلية للحسيب
ودعاية الإسلام بالصو ت الجهير بلا لغوب
وإثارة الكتاب والشعراء بالأدب المهيب
حتى تبلور فكرة وثابة العمل النجيب
تمشى به الأفراد فى المعمور ينشر فى الشعوب
وصفا له القوم الذين دعوا إلى الحق الحبيب

ومن حيث **الشكل** فى الصحافة العربية، فقد وجدنا أن التجديد يمكن أن يُعدّ كذلك.. «**مُعاملا**» للوحدة فى العصر الحديث فقد تبادل الصحفيون فى الأقاليم العربية علاقات التأثير والتأثر. ومن ذلك أن فنون الإخراج والتحرير الصحفى وسمت التجديد فى الصحافة العربية فى جميع الأقاليم بسماتها المشتركة، وكان التأثير والتأثر متبادلا بين الشام والعراق ومصر والسعودية والخليج والمغرب وغيرها من الأقاليم العربية.

ومن ذلك يتضح أن «**التنوُّع**» في الصحافة هو فى إطار «**الوحدة**» وليس هناك مجال لإحياء النزعات الإقليمية المفتعلة لأن «**التنوُّع**» يؤدى فى نهاية الأمر إلى تحقيق المفهوم العلمى «**للوحدة**» كما يكسبها دعما وإثراء فى إطار وحدة الثقافة العربية التى تفاعلت فيها مصادرها وتعاونت عواملها وتكاملت أركانها.

بهذا نستطيع أن نعلل تلك الظواهر التى اكتنفت «**حب الوطن**» فى الأدب العربى الذى أصبح قضية ذهنية وعلمية، يؤلف فيه، وتختطر به كتب وتستفتح به كتب وتنفرد به أبواب من كتب. «**فابن عساكر**» مثلا حين يؤلف عن دمشق تاريخه الكبير يفرد جزءا عن فضائلها ثم يمضى يجمع من نشأ فيها ومن دخل إليها ومن وصل حبله بحبلها، وكذلك فعل «**الخطيب**» فى تاريخه **لبغداد**، وفعل كثير غيرهما.

ولعل في ذلك ما يفسر، ما ذهب إليه «إليوت» من أننا لا نعنى عناية كافية «بايكولوجيات الثقافات»، ذلك أن «البيئة» تستطيع أن تقدم للصحفى معطيات متنوعة تسم الصحافة بسماتها الجغرافية، أو بالحوادث الاجتماعية التى تكون مادة استمداد الصحفى أو تصبغه بصبغ من الأصباغ المحلية المختلفة، وقد يكون فى معطيات تلك البيئة مادة خصبة للصور والأخيلة وضروب التصوير المختلفة (١).

ولذلك تذهب **الجغرافيا الصحفية** فى سياقنا هذا إلى أن **«الكل بيئة منفردة مزاياها وخصائصها التى تنفرد بها، وتلك المزايا والخصائص هى التى توجّ الحياة الصحفية فيها وتؤثر فى سيرها، وباختلاف هذه المميزات المادية والمعنوية تختلف حياة الأقاليم الصحفية.**

ويذكر المؤلف أن الأستاذ **العقاد**، قد وُجّه إليه سؤال، كذلك الذى تطرحه دراسة تاريخ الصحافة العربية، وفحواه:

- كيف تريد الصحافة فى البلاد العربية؟

فقال رحمه الله:

- **كما أريد البلاد العربية**.. واختصر بذلك مراحل الطريق.

ذلك أن **الصحافة المثلى** كما يقول هى **صحافة مستقلة** فى آرائها، مخلصة فى نصائحها أمينة فى أداء رسالتها، خادمة للثقافة والأخلاق فيما تنشره من موضوعاتها وأخبارها.

وفى مقدورك أن تؤدى هذه الشروط بعبارة أخرى مرادفة لها كل المرادفة، وهى أن الصحالة المثلى هى صحافة الأمة المميزة الرشيدة.. والتميز فى الأمم ثمرة من ثمرات التعليم والفطرة المستقيمة.. فإذا كانت الأمة متعلمة قويمة الفطرة فلا تشترط فيها شروطا للصحافة لأنها لن تروج فيها إذا هى خالفت

(١) أمين الخولى الأدب المصرى (القاهرة، دار المعرفة)، ص٢.

شروط الاستقلال والأمـانة، والخدمة القومية الـتى تقدم مصلحة الـوطن على مصالح الأحزاب والأفراد.

فى الأمم التـى يعوزها الـعلم والدرايـة السياسـية يصدقـون الرأى الأعوج ويكذبون الرأى المستـقيم ويقبلون الباطل السخيف ويـعرضون عن الحق المبين، لأن تمييز الحق يحتاج إلى كفاءة ذهنية وفضيلة خلقية ولا يصل إليه المرء إلا بعد الموازنة بين الأسـباب والمقابلة بين الأسانـيد والبراهين والرجوع إلى المـعلومات والسوابـق المأثورة. أما قبـول الباطل فلا يحـتاج إلى شىء من ذلـك.. كل ما يحتاج إليه جهل وكفى.. والجهل لا يتعلمه الجهلاء بعناء.

فى الأمم التى يعـوزها العلم والدراية الفـطرية، تستعر الخصـومات الحزبية وتتجاوز الحدود، لأن الـرأى العام لا يحسن الحكم الفـاصل بين الخصوم ولا يدرك حقيقة الدعاوى والأقاويل، فلاتزال الخصومات قائمة، ولاتزال الأباطيل شائعة والحقائق مجهولة. ولو عرضت هـذه الخصومات على جمهور يفطن إلى صوابها وخـطئها لقضـى على الخطأ وأخذ بـناصر الصواب فى سـاعة ظهوره، فأراح نفسه وأراح المختلفين من لجاجة الخلاف.

ونحـن نلمـح أثر التـقدم فـي صحافـتنا كـلما لمحـنا أثر الـتقـدم فى أقوامـنا وجماهيرنا فنحن اليوم خير مما كنا بـالأمس، ونحن غدا ــ فيما نرجوه ــ خير مما نرانا اليوم.

ولا يخطىء المتعجلون فيقولون ــ إن صحافة الأمس لم تكن تعرف كل هذا التنابذ بالتهم والأكاذيب بين الأحزاب، إذ الواقع أنها كانت خلواً من ذلك لأن البلاد كانت خلوا من الأحزاب وكانت سياستـها فى أيد غير أيدى أبنائها، فلما أخذت فى الاستقـلال بشئونها والتنافـس على زعامتها كانت الـعوارض الحزبية فيها علامة من عـلامات التقدم واليقظة، ولم تكن علامـة من علامات النقص والرجوع إلى الوراء.

إلى أن يقول أستاذنا العقاد رحمه الله: «إننى صحفى، ولكننى لا أبالغ في رسالة الصحافة ولا أؤمن بأن الصحافة وحدها كافية للقيام بأمانة التثقيف والهداية، ولو ارتفعت الأمة إلى أرفع مراتب الأدب والتعليم».

ففى الأمم التى بلغت غايتها من العلم والتربية، تؤتى الصحافة من آفة التقدم لا من آفة الجمود، وتصاب من ذيوعها بعد أن كان الخطر كل الخطر أن تصاب من ضيق النطاق.

لأن الصحافة إذا انتشرت تعددت وتفرعت وظهرت لكل حزب صحيفة ولكل جماعة من الأمة لسان ينطق بما تريد، ويتفق كثيرا فى هذه الحالة أن تقرأ الجماعة صحيفتها ولا يتسع لها الوقت لقراءة الصحف الأخرى، فيفوتها أن تحيط بوجهات النظر كلها وتسمع أبداً من جانب واحد.. ولا تسمع من الجانب الذى يعارضه ويصحح أخطاءه.

وهذه آفة الارتقاء والانتشار.

وإلى جانب هذه الآفة آفة تظهر لنا قصور الصحافة عن الاستقلال بأمانة التثقيف والهداية، فهى على أحسنها وأفضلها لا تغنى عن **ثقافة الكتاب** لأن الطبيب مثلا يقرأ كتاباً ليستوفى البحث فى مسألة من مسائل علمه، ولكنه لا يعتمد على الصحيفة لأنها تنشر من حين إلى آخر فصلا فى الطب من هنا وفصلا فى الطب من هناك.. ويقال فى الأديب والفنان والمهندس والفقيه ما يقال فى الطبيب.

فمهما يبلغ من ارتقاء الصحافة غدا فى بلادنا العربية، فلنحسب حسابا لهذا القصور الذى يلازم الصحافة فى أرقى البلاد، ولنعلم أنها لن تنفرد وحدها بتكوين الآراء الصحيحة، ولابد لنا من وسيلة غير الصحافة لدراسة المسائل العامة من جوانبها المتعددة أو لاستيفاء البحث فى شئون الثقافة وقضايا الاجتماع، وقد تتيسر لنا هذه الوسيلة من طريق **الكتاب**، وطريق **المذياع**، وطريق الصور المتحركة فى بعض المناظر والروايات.

إذا كانت الصحافة لا تسبق الأمة دائما فـهى قادرة على أن تسبقها فى بعض الأوقات.

وإذا كانت لا تعدو أمامها بخطوات فساح، فعليها أن تمشى معها وفى مقدمة صفوفها، ولا تمشى وراءها أو تقعد مع الخوالف فى آخر الصفوف.

وإذا كانت الصحافة تروج بمخاطبة العدد الأكبر من الغوغاء ـ فهى لا تخسر إذا خاطبـت النخبة القـليلة من المـمتازين. بل تجـمع بذلك زينة الاحـترام إلى منفعة الرواج.

ولهذا يقع اللوم كثيرا على الصحفى الـعربى الذى يتوانى عما يستطيعه وهو غير عسير.

إنه لا يستطيـع أن يسبق أمته فى كل نسخـة من الصحيفة ولكنه يـستطيع أن يسبقها فى بعض الأيام.

وهو لا يستطيع أن يهمل حساب الدهماء، ولكنه يستطيع أن يحسب حساب النخبة الفضلاء.

وهو لا يستطيع أن يثابر على المسير أمام الـصفوف ولكنه يستطيع أن يتجنب المسير فى الصف الأخير.

والعامـلون بالواجب الـصحفى فـى هذا الصدد ثلاث طـبقات: طبقة تحمد وطبقة تعذر وطبقة تلام.

فالطبقة التى تحمد ـ ويالأسف قليلة

والطبقة التى تُلام ـ ويالأسف ـ كثيرة.

والطبقة التى تُعذر وسط فى القلة أو الكثرة بين الطبقتين.

ولا نطيل فـي التمثيل والاستـشهاد، فيكفى أن نـشير إلى **معارض الآداب والعلـوم والفنون فى الـصحافة الغـربية** ونشـير إلى أمثـال هذه المعـارض في

صحافتنا الكبرى أوالصغرى على السواء. فهنا فى الشرق تحيا الآداب والعلوم حياتها بمعزل عن الصحافة كلها، حتى لو اعتمد المؤرخ على الصحافة وحدها في تسجيل حركتنا الثقافية لخرج من صفحاتها جميعا صفر الوطاب، على خلاف صحافة الغرب التى تتابع كل حركة أدبية أو فنية، وتعنى بتخصيص الملاحق القيمة للنقد والدراسة والتلخيص، فلا يعنى المؤرخ أن يرجع إليها ويعتمد عليها فى الإلمام بالنهضة الثقافية على أى عهد من العهود.

إن الإصلاح فى الشرق عسير أو لايزال حتى اليوم أعسر مما ينبغى أن يكون.. وإذا كان بعض الصحف عونا علي الإصلاح فبعضها عقبة فى طريق كل إصلاح.. بل هى نفسها آفة من الآفات التى تحتاج من أجلها إلي جهود المصلحين.

والشرق كما نعلم موطن الأنبياء والهداة ودعاة الإصلاح، ونحن بهذا نفخر ومنه نستمد الثقة والعزاء.. ولكننا كلما فخرنا بأنبياء الشرق وجب أن يكون الجهر بالصدق من مفاخرنا الأولى، وعظمة لنا ولا ريب أن يكثر بيننا الصالحون للنبوة، ولكن لولا صعوبة الإصلاح لما كثر الأنبياء، ولولا المحتاجون إلى العلاج لما كثر الأنبياء، ولولا المحتاجون إلى العلاج لما كثر الأطباء، ولولا سهولة الضلال فى الطريق لما تتابع الإدلاء.

هذا الإصلاح العسير هو الحقيقة التى نذكرها كلما ذكرنا عيوب الصحافة وما وراءها من عيوب الرأى العام، فنحن نطلب من جمهرة الأمة أن تصلح الصحافة ونطلب من الصحافة أن تصلح جمهرة الأمة، ونبحث عن الذين يصلحون الفريقين معا فنراهم أقل الدعاة أعوانا فى بلادنا.. لأنهم لا يرتفعون إلي مراتب الأنبياء ولا ينطقون بلسان السماء ومن كذب على السماء بدعواه فهو محتال يبتلينا ببلاء جديد ولا يعصمنا من البلاء المقيم.

على أن الزمن ماض فى طريقه والإصلاح يمضى مع الزمن على هينة ورفق تارة، وتارة على سرعة وشدة، وبمشيئتنا ف حين وعلى غير مشيئتنا فى أحيان.

وسنبغل ما نرضاه من العلم والهداية فتبلغ الصحافة ما يرضينا من الأمانة والسداد.

أما اليوم فحسبنا أن نريد منها ما يكون وأن نريد منها ما تستطيعه حيث تشاء... فإن عز عليها أن تسبق هوادى الأمة فلا ترجع إلى أذنابها، ولتتجاوز خطاها كلما تأتى لها أن تتجاوزها، ولتنظر إلى علتها كما تنظر إلى سوادها.. وإذا كانت مرآة تعكس ما يقابلها فلا تكن من تلك المرايا التى تطيل القصير وتقصر الطويل أو تسمِّن الأعجف وتعجف السمين، أو تشوه كل ما تراه من جميل ودميم فتلك هى مرايا الملاهى والمهازل التى يتسلى بها الفارغون. أما المرايا التى تلزمنا للجدّ والزينة، فهى التى تصف للعين كل ما تراه على سوائه، فنهتدى بها إلى العيوب كما نهتدى بها إلى الحسنات[1].»

وهكذا تظهرنا صورة التاريخ الصحفى فى الوطن العربى على مفهوم «**الوحدة**» فى أنقى صوره، وهو المفهوم الذى لخصه الزعيم جمال عبدالناصر رحمه الله فى مقال نشرته مجلة الهلال ــ عدد يناير١٩٥٧، حين يقول:

العرب أمة واحدة(*)

هذه حقيقة مؤكدة، لا تنقُضُها دعوى مدَّع فى الشرق ولا فى الغرب، فالعربى فى مصر أخو العربى فى نجد، وفى صنعاء، وفى بغداد، وفى دمشق، وبيروت، والدار البيضاء من أقصى المغرب.

أبونا واحد «وإن زعم من زعم أننا لآباء، ووطننا واحد، وإن حاول الاستعمار بوسائله أن يجعله أوطانا، وهدفنا فى الحياة واحد، وإن جهل باحث فى الشرق أو فى الغرب، وعمى أو تعامى عن الحقيقة الواضحة.

على أن وحدتنا لو لم تكن وحدة جنس ولا وطن ولا هدف لكانت وحدة آلام.. فإنَّ أُخُوَّةَ الشُّعورِ بالألم لَتربطنا قلباً إلى قلب من شاطىء الخليج العربى

(١) فن المقال الصحفى فى أدب العقاد ص١٤٤.

(*) منشورة فى الهلال الصادر فى يناير ١٩٥٧.

إلى شاطىء الأطلسىّ، فما يكادُ عربىٌّ يشكو ألما حتى يتداعى له سائرُ العربِ من قريبٍ ومن بعيدٍ بالسَّهر والحمى.

وإنى لأعجبُ كيف عشنَا، نحنُ العربَ، قُروناً غافلين عن هذه الحقيقة الصريحة، فأتحنا للأجنبى الدخيل بيننا أن يغلب، ويتسلط، ويتوزع بلادنا فى مناطق نفوذ، ويجعلنا فى سوق السياسة تجارة، وفى أتون الحرب وقوداً

أكان ذلك لأن طائفة من سادتنا وكبرائنا فى عهد مضى أغواهم الترف، وخدرتهم النعمة، ففسقوا، وضلوا، وركبوا إلى الباطل كل مركب، فحقت عليهم كلمة الله، وحقت علينا، وأظلتنا فتنة لا تصيب الذين ظلموا خاصة.

ولكننى لا أريد أن أعود إلى الماضى، فقد ذهب ذلك الماضى بما فيه، فلاعودة له، وإنما نحن أبناء الساعة، والحقيقة واضحة صريحة أمام أعيننا، فماذا فعلنا، وما نريد أن نفعل لنؤكد هذه الحقيقة الصريحة الواضحة، ونحوّلها من شعور وعاطفة، إلى جهد وعمل.

إننا نستطيع بوسائل كثيرة أن يحقق وجودنا الإنسانى فى الجماعة البشرية العامة، وأن نحدِّد مكاننا، بإرادتنا لا بإرادة غيرنا.

إننا نملك من أسباب القوة ما تحقق لنا السيادة الكاملة، وقوة التوجيه للسياسة العالمية العامة.

إن بلادنا فى مكانها المتوسط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، لتقع بين دول العالم فى مثل مكان العاصمة من الدولة، فلماذا لا يكون لنا مثل مكانة العاصمة من قوة التوجيه لسائر بلاد الدولة الإنسانية العامة؟

وإن فى أرضنا وسمائنا وبَحرنا وبرِّنا قوى ضخمة، لم تزل أمم كثيرة فى الشرق والغرب تلتمس الأسباب للظفر ببعضها فلا تتهيأ لها، فلماذا لا نحاول بما نملك من هذه القوى أن يكون لنا الرأى والتوجيه فى العالم، ليتحقق بنا الخير وللإنسانية؟

وإننا لنملك من **قوة الروح، ومن الإيمان بالله، ومن الشعور بمعانى الإخوة الإنسانية** بين البشر، ما يمكن أن يصنع بنا فى العالم تاريخا إنسانياً جديدا مثل التاريخ الذى صنعه أسلافنا منذ ألف وثلاثمائة سنة، فلماذا لا نشرق على العالم مرة أخرى برسالة السلام والرحمة، وناموس الأخوة والمساواة، لنمحو ما ران من ظلمات الباطل على عقول وقلوب لا تؤمن إلا بالمادة؟

وإنَّ لنا قبلة نحجُّ لها، ونتوجهُ إليها فى صلواتنا. . . يريد به الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا، نحن العرب، أن الإنسانية لا تبلغ كمالها إلا حين تجتمع القلوب على هدف، وتتوحد جماعتها إلى قبلة، فلماذا لا تكون قبلتنا أن نجعل للإنسانية الضالة كعبة؟

لقد نزل علينا الوحىُ ذاتَ يوم، لنقودَ الإنسانيةَ إلى مراشدها، فكانت حضارة الإسلام التى أنقذت العالم من ظُلُمات الضَّلال والجهل والفتنة، وإن وحياً جديداً لينبثق اليوم فى قلوبنا لنقودَ الإنسانيةَ مرَّةً أخرى إلى مراشدها، فما أحرى دعوتنا أن تَبْلُغَ اليومَ مبلَغَها من القُلوبِ والعقول، وقد أشرفَ العالمُ على الانحلالِ، لِنُنْقذَهُ من ظلماتِ الضلال والجهلِ والفتنةِ.

وإننا لنرى كلَّ يوم بُرهاناً جديداً على إمكاننا وقدرتنا وطاقتنا المادية والمعنوية، وهذا السائلُ الأسودُ الذى ينبثقُ اليومَ فى أرضنا، فيشتعلُ ناراً ونوراً، وإنتاجاً وحركة، ويجعل أفئدة من الناس تهوى إلينا وتسعى فى مرضاتنا، وتلتمسُ أسباب الرِّزق بيننا ليُقدِّمُ لنا برهاناً جديداً على ما نستطيع أن نفعله لو أننا استكملنا أسباب الإيمان بأنفسنا.

ولن نستكمل أسبابَ هذا الإيمانِ حتى نؤمنَ ابتداءً بأننا أمة. . أمة واحدة».

وعوامل «**الوحدة**» فى الصحافة العربية يمكن أن تتلخص فيما يلى:

- **الأمة العربية أمة واحدة** فى الجنس والهدف والوطن، على الرغم من دعاة التفرقة، وهم المستعمرون.

- على أننا لو لم تجمعنا وسائل هذه الوحدة، لكفانا ما يجمعنا من آلام قد

قضى الله أن يؤلفنا الجرحُ وأن نلتقى على أشجانه كلما أنّ بالعراق جريح لمس الشرق جنبه فى عُمانه.

واجهت الصحافة في تاريخها سيطرة الأجانب على بلادنا، وسعيهم جاهدين لتمزيق وحدتنا، واستغلال خيراتنا، وبذر بذور الشقاق بين أبناء الوطن الواحد، كما اتخذوا بلادنا ميدانا لحروبهم، نصطلى نارها بسبب أطماعهم.

تمتاز البلاد العربية بأسباب تكفل لها القوة والسعادة:

أ ــ توسط موقعها بين الشرق والغرب فهى بحق ملتقى طرق العالم، ومعبر تجارته، وممر جيوشه.

ب ــ قوانا الضخمة فى السماء والبر والبحر، أما سماؤنا فصالحة للطيران لصفائها، وأما أرضنا فممهدة للسير عليها، غنية بكنوزها من بترول ومعادن.. وأما البحر ففى حوزتنا منه ما ربط العالم بعضه ببعض، فوق محتوياته.

ج ــ تمتعنا بقوة الروح المستمدة من الإيمان بالله، ومن الشعور بمعانى الأخوة الإنسانية.

د ــ وحدتنا في القبلة التى نحج إليها، وإليها نتجه فى صلواتنا، تدفعنا إلى اتحاد الهدف.

هـ ــ فى الوحى القديم ما يوقظ فينا وحياً جديداً لقيادة الإنسانية إلى الهدى.

و ــ تفجر البترول فى أرضنا أكبر دليل على قوتنا، لو آمنا بأنفسنا.

هكذا نريد لصحافتنا أن تصور هذه الحقيقة.

ونسأل الله تعالى التوفيق، فجلّ من لا يخطىء تحيزا أو قصورا فى عالم البشر.

عبدالعزيز شرف